العرب
الإثنين 2019/12/30
السنة 42 العدد 11572

نهاية مأساوية لرائدة فضاء عاشقة

«لوسي في السماء» فيلم خيال علمي يجمع بين الفانتازيا والواقعية

اختراق الآفاق كان على الدوام واحدا من الأحلام والأمنيات التي داعبت خيال البشر، حتى قبل أن يصير اكتشاف الكون الفسيح هدفا في حد ذاته. كما تحول اكتشاف المجهول البعيد إلى ثيمة مفضلة في سينما الخيال العلمي. لما ينطوي عليه هذا الموضوع من مساحة واسعة للمغامرة ومتعة الاكتشاف والحقائق التي يجري التوصل إليها في ما يتعلق بغرائب المجرات والكواكب.

طاهر علوان
كاتب عراقي مقيم في لندن

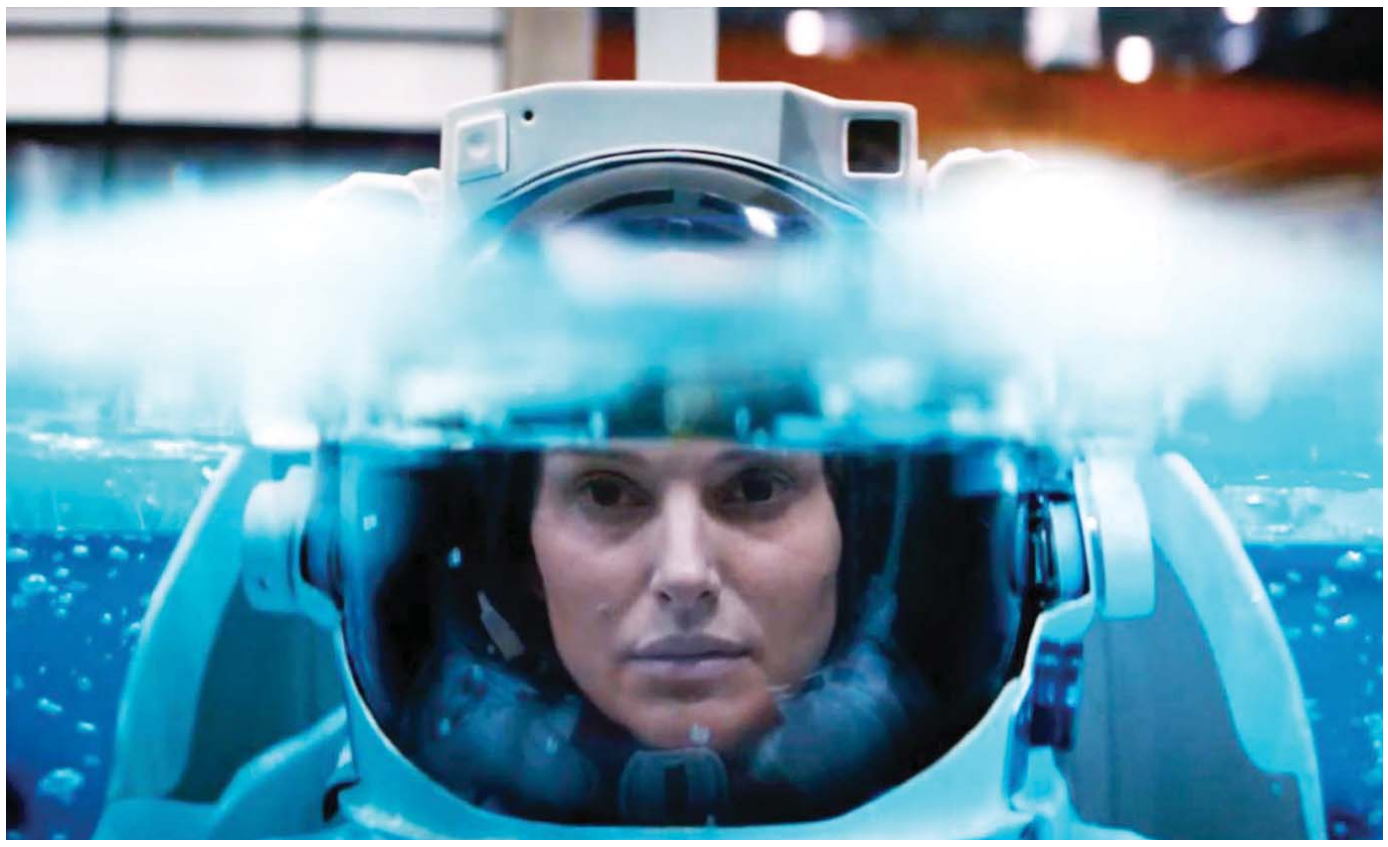

أوقات عصيبة في الفضاء الفسيح

يستعرض فيلم "لوسي في السماء" للمخرج نوح هاولي تفاصيل اكتشاف المجهول البعيد في الكون الفسيح عبر رحلة لوسي (الممثلة ناتالي بورتمان)، حيث تظهر طافية في الفضاء وسط حالة تفاعلية عميقة، إذ تتغلغل تفاصيل تلك الرحلة إلى وجدانها وعقلها وعاطفتها. ولهذا سوف نعيش معها تلك الأوقات التي تمضيها وهي سابحة في الفضاء ثم وهي عائدة إلى الأرض وكيف يؤثر ذلك على شخصيتها.

ما بين صورة لوسي وهي في المهمة وبين صورتها وهي على الأرض سوف نجد إشكالية سرعان ما سوف تتطور إلى تداعيات نفسية وسلوكية. هي تعيش وسط أسرتها المكونة من الزوج وابنة الأخ الشابة، وعلى الجهة الأخرى جدتها ومربيتها.

الزوج المتحفظ المتدين هو مثال للحريص على الحياة الزوجية مع التذكير بالخالق وقدرته والدعاء في كل وقت.

تجد لوسي نفسها بالتدريج أنها لا تنتمي إلى هذا الواقع الذي عادت إليه، ولهذا تبدأ الفجوة بينها وبين زوجها بالاتساع، بينما تتقارب مع زميلها في محطة ناسا وتقيم علاقة مضطربة وغير مستقرة معه.

خلال ذلك يجري إعداد لوسي من خلال سلسلة من التجارب الصعبة لغرض الالتحاق برحلة إلى الفضاء مجددا، وهو ما لن يتحقق بسبب قناعة وكالة ناسا بأن تحولات عاطفية ونفسية صارت تطغى على شخصيتها ممّا يستوجب خضوعها للمزيد من التدريب والإعداد.

البعد الخيالي الذي يجعل من لوسي شخصية شبه منفصلة عن الواقع وترى في نفسها ما لا يراه غيرها يجعلها تعيش رحلة افتراضية كونية، إذ لا تتوقف الأوامر في أثناء الرحلة الفضائية التي تصلها، فتردد في كل مناسبة، حتى وهي في الطريق أو في المنزل.

وانبنت فكرة الفيلم على قصة واقعية حول جانب من حياة رائدة الفضاء الأميركية ليزا نواك مع مرونة في الخروج من إطار تلك الشخصية الحقيقية، ما عدا بعض المقاربات التي تتعلق بتحوّل رائدة الفضاء بسبب التجربة العاطفية ودوافع الغيرة إلى الانتقام.

هنا لا تجد لوسي حلا للخروج من أزمتها، ولاسيما بعد أن تكتشف أن صديقها الذي تعاشره هو الذي رفع تقريرا أوصى فيه بعدم إرسالها في رحلة فضائية جديدة.

علاقة إشكالية مركبة بين لوسي وصديقها المفضل مارك (الممثل جون هام)، وكلاهما رائد فضاء، وهما يتشاركان في تلك التحوّلات النفسية والجسدية في ما قبل انطلاق المركبة الفضائية وخلال المهمة في الفضاء وما بعد إتمام المهمة والعودة إلى الأرض.

واقعيا تتحوّل تلك المهمة برمتها إلى هاجس يومي بالنسبة إلى لوسي، ولهذا سوف تظهر في شكل اضطرابات سلوكية وانفلات في المشاعر حتى بدت شخصية سيكوباثية بامتياز.

> فكرة الفيلم بنيت على قصة واقعية عن حياة رائدة الفضاء الأميركية ليزا نواك مع مرونة في الخروج من إطار تلك الشخصية

تتمرد فجأة على الزوج وتتحاشى وجوده في حياتها، تصطحب ابنة أخيها إلى المجهول، تعاني من فقد مربيتها وهي جدتها، كل ذلك يتراكم، فيما لوسي تخضع للتدريب الفضائي من جهة والمواعيد الغرامية الهلامية مع صديقها التي تنتهي بها إلى محاولة قتل صديقها بدافع الغيرة والانتقام. من هناك سعى المخرج ومعه فريق السيناريو إلى الخروج عن إطار القصة الحقيقية التي لم تتعدّ كونها علاقة عاطفية أفضت إلى جريمة تداولتها وسائل الإعلام بإطناب، لإنجاز عمل سينمائي يجمع بين العاطفة والخيال العلمي.

في المقابل، تتسع القصة التي تعيشها لوسي في حياتها اليومية إلى فهم ذلك العالم المجهول الذي أبحرت فيه، حيث تجد نفسها أسيرة البدلة الضخمة والزجاجة التي لا تحتجز رأسها فحسب، بل أنفاسها وأفكارها وعيونها التي تراقب كل شيء.

وعلى هذا النحو، سوف يبني المخرج القصة في إطار نفسي وفانتازي لا تلبث أن تتسع بتفجّر شخصية لوسي وضربها لكل ما حولها للتعبير عن دوافعها وأهدافها ومشاعرها هي دون الآخرين.

مزج الفيلم في بنائه الدرامي ما بين الفانتازيا والخيال العلمي والدراما النفسية في خليط أراد من خلاله المخرج الاستفادة من السيرة الحقيقية لرائدة الفضاء، ثم الخروج عنها من خلال خطوط نفسية وعاطفية مُتشابكة.

وعلى مدى قرابة الساعتين من الزمن أمتعت لوسي مشاهديها بشخصيتها المتقلبة وشراستها وأفكارها المشوشة، ثم وهي تخوض تلك الرحلة عبر الفضاء بجميع تداعياتها.

إنتاجيا تم إنفاق 27 مليون دولار على هذا الفيلم ليحقق أكثر من 300 مليون، وفي هذا كان التوسع الإنتاجي سواء في صالات تدريب رواد الفضاء أو في مشاهد الفضاء قد تمت معالجتها بمهارة وحرفية وبدرجة من الإقناع، علما أن الأحداث تقع في تسعينات القرن الماضي وذلك ما نلمسه من خلال الملابس والعديد من الإكسسوارات.

مساحة المغامرة هي التي ارتكز عليها فيلم "لوسي في السماء" في تقديم قصة مرتبطة بالواقع من جهة، وفيها الكثير من الغرائبية والفانتازيا من جهة أخرى، وهي موازنة دقيقة حاول المخرج الحفاظ عليها مع أن الإيقاع الفيلمي لم يكن على نسق واحد، وهو من الثغرات التي تؤخذ على هذا الفيلم.

الرسم الحي

فاروق يوسف

أتذكر التونسي رضا العموري كلما اشتركت في حديث عن سوق الفن وصالاته وتأثيره الاجتماعي. فالرجل كافح من أجل أن يشقّ طريقه في الحياة العملية التي كان الفن مادتها.

أتى من العمل النقابي ليجد نفسه وسط سيل من الاتجاهات والآراء والأفكار وكان عليه أن يكون منصفا، بالرغم من أنه لم يكن في البدء يملك ذخيرة من الكلام النقدي الذي يتعلق بالفن. ذلك ما تعلمّه مع الوقت حين عرض في قاعته لكبار الفنانين التونسيين. وهو ما جعله قادرا على التمييز بين ما يمكن أن يكون ملهما للجمال وما يكتفي بالجمال باعتباره هدفا لذاته. ذلك ما أدخله في خصومات عديدة.

من وجهة نظره فإن صاحب القاعة ينبغي أن يتمتّع بحسّ نقدي يُمكّنه من قراءة تأثير العمل الفني نوعيا. ذلك ما جعله يتبنّى تجارب نجيب بلخوجة ورضا بالطيب وعبدالرزاق الساحلي ومحمود السهيلي من غير أن يغمض عينيه عن فناني تونس الكبار من أمثال حاتم المكي وعلي بن سالم. لقد تعلّم أن ينصف نفسه من خلال الفن. وكما أرى فإن الفن أنصفه.

اليوم حين يلتفت إلى ماضيه يمكنه أن يبتسم. لقد كان ذلك الشاب على صواب حين قاوم الواقع. فالرسامون الذين تحمّس لهم هم اليوم من كبار رسامي تونس، كما أن السنوات التي قضاها في سوق الفن قد علمته الكثير عن أصول الفن.

يمكنه اليوم أن يقول رأيا حاسما في تاريخ الفن التونسي الحديث. فهو يعرف كل شيء. لا باعتباره بائعا للأعمال الفنية بل لأنه تعلّم أن يكون ناقدا بعد أن حسم موقفه منحازا إلى الرسامين الذين أحبهم.

لم يحبّ نوعا من الرسم وكان ذلك من حقّه، غير أنه في المقابل ابتهج بالرسم الذي أحبّه. وهو ما أكسبه صلابة في مواجهة المشهد الفني.

لقد أكسبته تجربته الفنية مهارة في التعرّف على الرسم الحي.

وهو مفهوم سيعتمده في الإعلان عن الرسوم التي سيبقى جمالها خالدا.

فرنسا تحتفي بفرنسيس بيكون رسام الأدب والفلسفة

بعد مارسيل دوشامب، وروني ماغريت، وأندري دوران، وهنري ماتيس، يواصل مركز بومبيدو بباريس إعادة قراءة الأعمال الكبرى للقرن العشرين، ويخصّص هذه المرة معرضا كبيرا للفنان البريطاني فرنسيس بيكون.

أبوبكر العيادي
كاتب تونسي

يحتفي مركز بومبيدو بباريس بأحد الفنانين الكبار الذين كان لهم إسهام جليل في مسيرة القرن العشرين الفنية، هو البريطاني فرنسيس بيكون، الذي ولد في دبلن عام 1909 وتوفي في مدريد عام 1992، فقد استطاع أن يسجل حضوره منذ أعماله الأولى، ولكن صيته لم يذع عالميا إلّا بعد المعرض الذي أقيم له عام 1971 في القصر الكبير بباريس. هذا التاريخ الذي ثبّت اسمه في سجل الفنانين العالميين، مثّل أيضا تحوّلا في أسلوبه ونظرته إلى الفن، ترافق مع انتحار صديقه جورج داير.

ولئن كانت حياته المعذبة قد غذت فنه، فإن أطرافا أخرى غذّتها هي أيضا، من داخل الفن التشكيلي نفسه مثل غويا، وبيكاسو؛ ومن السينما مثل لويس بونويل، وسرغاي أيزنشتاين، ولكن الأدب هو الذي حفزه أكثر من سواه، دون أن يتّخذه مطيّة لتصوير قراءاته، قال مرة "إن اللوحة لا علاقة لها بالرسم الإيضاحي. بل هي عكس ذلك تماما. كالزخرف الذي يخالف تماما الرسم الفني".

والأعمال المعروضة في مركز بومبيدو هي التي أنجزها بيكون في العشرين سنة الأخيرة من حياته (1971 – 1992) وقد تمّ توزيعها على ست قاعات، وتنظيمها حول بعض كتبه المفضلة، هي "أورستيا" لإسخيلوس، و"إنسان مفرط في إنسانيته" لنيتشه، و"قصائد" لتوماس ستيرنز إليوت، و"عصر الإنسان" لميشيل ليريس، و"التجربة الداخلية" لجورج باطاي و"قلب الظلمات" لجوزيف كونراد.

ستة أعمال شعرية وأدبية وفلسفية تمّ اختيارها ووضعها في علاقة مع لوحاته في سينوغرافيا طريفة، حيث جعلت ما بين كل فضاء مخصّص للوح ثلاثي من أعمال بيكون بنْياتٌ شاغرة في الظاهر، ولكنها مَملوءة في الواقع بأصوات بعض الممثلين المعروفين أمثال ماتيو أمالريك، ودوني بودالياس، وجان مارك بار، وكارلو برانت، وهم يقرأون بالفرنسية أو الإنكليزية فصلا أو أكثر من المؤلفات التي يعشقها الرسام البريطاني.

ولبيكون علاقة خاصة بالكتب، فهو يصنفها إلى كتب نذوقها فقط، وثانية نلتهمها، وثالثة ينبغي مضغها وهضمها. وهذا الصنف هو الذي نهل منه فنّه، فانضم إلى كون فلسفي يتقاسمه مع كتابه وفلاسفته الأثيرين. أولئك الذين أوحوا له أعماله وموتيفاته يوحدهم كونٌ شعري ويشكلون ما يشبه عائلة روحية، يتمثلها ويحس بانتمائه إليها، فهم يشتركون في رؤية واقعية غير أخلاقية عن العالم، وتصوّر للفن وأشكاله متحرّر من النظرة المسبقة للمثالية، على غراره هو، المثليّ المتمرد على قوانين إنكلترا التي كانت تحرّم الشذوذ حتى عام 1967.

رؤية واقعية ولكن غير أخلاقية

هذه الزاوية الأدبية التي نظر بها مصمّمو المعرض إلى أعمال بيكون، تؤكد ما يسم أعماله من إثارة، فالألوان المائعة، كالبرتقالي الساطع، والأصفر الليموني، والأخضر اللوزي، والوردي الفاقع، وكذلك وضع الأجساد المعذّبة يذكر بالتراجيديا اليونانية وخاصة أسطورة بروميثيوس وظهور اليومينيد، آلهة الندم، التي تغنّى بها أسخيلويس. فهي تتميز بالعنف، ولئن كانت تقع على تخوم التجريدية، فهي مصوغة من أجساد موجوعة، محاطة بالأدران، ملتوية من شدّة الألم، بل ومنفلتة من إطارها، وكأنها هاربة من الجحيم الذي وصفه كونراد في "قلب الظلمات".

وما اختياره نيتشه إلّا لأنه يقاسمه شكه في كل قيمة أو عقيدة. فعالم الأفكار في نظر بيكون لا ينبغي أن يتدخل في رؤية الفنان وإحساسه المخصوص بالواقع. ومن ثمّ غابت عن فنه الرمزية والرسالة، ومن ثمّ أيضا كان رفضه وضعَ اسم لأسلوبه، فقد ظل وفيا للتصويرية في فترة شهدت هوسا بالتجريدية، يرفض أن تغطي بنى الذهن الإدراك الأولي للأشياء، وخصوصا حضور الآخر وجسده. حتى شخوصه المشوهة بشر قبل كل شيء، قد يرى فيها بعضهم تشويها للواقع، وقد يرى غيرهم رؤية طبيعية للوضع البشري.

هو فنان الأجساد الملتوية والممزقة والدامية لا محالة، ولكنه أيضا فنان الدواخل، وأعماله تثير فينا شعورا بالانقباض، ولاسيما الألواح الثلاثية التي أنجزها وفاء لروح صديقه جورج داير، الذي انتحر في فندق باريسي، عام 1971، قبل يومين من افتتاح المعرض الذي خصّصه له القصر الكبير.

> ليبكون علاقة خاصة بالكتب، فهو يصنفها إلى كتب نذوقها فقط، وثانية نلتهمها، وثالثة ينبغي مضغها وهضمها

إن ما يرسخ في ذهن الزائر أن بيكون يروي حكايات، مرسومة في فصول أخرجت بفنية عالية على صفحات ألواحه الثلاثية، حيث العناصر مبثوثة مثل رموز ينبغي فك شفرتها، ولكل واحد أن يتقرى فيها حكايته. هذا التنوع بين لين الألوان الزاهية أو الساطعة، وبين عنف الصور المعذّبة فيه إرباك مثلما فيه من قوة جذب.

لقد كان بيكون حريصا على رسم الحياة نفسها، أي رسم الحركة في تواصلها واسترسالها، ما يعني صعوبة التقاطها وتثبيتها في لوحة جامدة، لذلك رسم الحركة ليقاوم ذلك الوضع الجامد، من خلال رسم أطر الروح المعذبة، والذاكرة الحية والغائمة في الوقت نفسه، دون أن يجمّل أي شيء، بل يكتفي بعرض الحياة الحق، كما يتصوّرها، أي كتراجيديا إغريقية تحاول أن توفّق بين المتناقضات، وتقبل الانحدار والسقوط كوجه من وجوه مهابة الوجود وجلاله.